سـورة النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ﴾ لفظ استفهام؛ ولذلك سقطت منها ألف «ما»، ليتميز الخبر عن الاستفهام، وكذلك: « فيم، ومم » إذا استفهمت، والمعنى: عن أي شيء يسأل بعضهم بعضا، وقال الزجاج: أصل ﴿عَمَّ﴾ عن ما فأدغمت النون في الميم، لأنها تشاركها في الغنة، والضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ لقريش، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ؟ وقيل ﴿عَمَّ﴾ بمعنى: فيم يتشدد المشركون ويختصمون.

قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أي: يتساءلون ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ فعن ليس تتعلق بـ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ الذي في التلاوة؛ لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ كقولك: كم مالك أثلاثون أم أربعون؟ فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بـ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ الذي في التلاوة، وإنما يتعلق بيتساءلون آخر مضمر، وحسن ذلك لتقدم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ قاله المهدوي.

وذكر بعض أهل العلم أن الاستفهام في قوله: ﴿عَنِ﴾ مكرر إلا أنه مضمر، كأنه قال: عم يتساءلون أعن النبأ العظيم؟ فعلى هذا يكون متصلا بالآية الأولى، و﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الخبر الكبير.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أي: يخالف فيه بعضهم بعضا، فيصدق واحد ويكذب آخر؛ فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو القرآن؛ دليله قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨)﴾ [ص] فالقرآن نبأ وخبر وقصص، وهو نبأ عظيم الشأن.

وروى سعيد عن قتادة قال: هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين: مصدق ومكذب (١)، وقيل: أمر النبي ﷺ.

وروي الضحاك عن ابن عباس قال: وذلك أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن أشياء كثيرة.

فأخبره الله جل ثناؤه باختلافهم، ثم هددهم فقال: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أي: سيعلمون عاقبة القرآن، أو سيعلمون البعث: أحق هو أم باطل.

و ﴿كَلَّا﴾ رد عليهم في إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرآن، فيوقف عليها، ويجوز أن يكون

(١) صحيح إلى قتادة : الطبري (٣٠/ ٤) في تفسيره .

بمعنى حقا أو: «ألا» فيبدأ بها، والأظهر أن سؤالهم إنما كان عن البعث؛ قال بعض علمائنا: والذي يدل عليه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧] يدل على أنهم كانوا يتساءلون عن البعث، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أي: حقا ليعلمن صدق ما جاء به محمد ﷺ من القرآن، ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت، وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم [١]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم، وقيل: بالعكس أيضا، وقال الحسن: هو وعيد بعد وعيد[٢]، وقراءة العامة فيهما بالياء على الخبر؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله: ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾، وقرأ الحسن وأبو العالية. ومالك بن دينار بالتاء فيهما.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ دلهم على قدرته على البعث؛ أي: قدرتنا على إيجاد هذه الأمور أعظم من قدرتنا على الإعادة، والمهاد: الوطاء والفراش، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢] وقرئ «مَهْدا»، ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها، ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافا: ذكرا وأنثى، وقيل: ألوانا، وقيل: يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن، وطويل وقصير؛ لتختلف الأحوال فيقع الاعتبار، فيشكر الفاضل ويصبر المفضول، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ ﴿جَعَلْنَا﴾ معناه صيرنا؛ ولذلك تعدت إلى مفعولين، ﴿سُبَاتًا﴾ المفعول الثاني، أي: راحة لأبدانكم، ومنه يوم السبت أي: يوم الراحة؛ أي: قيل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم، فلا تعملوا فيه شيئا، وأنكر ابن الأنباري هذا وقال: لا يقال للراحة سبات، وقيل: أصله التمدد؛ يقال: سبتت المرأة شعرها: إذا حلته وأرسلته، فالسبات كالمد، ورجل مسبوت الخلق: أي: ممدود، وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد، فسميت الراحة سبتا، وقيل: أصله القطع؛ يقال: سبت شعره سبتا: حلقه؛ وكأنه إذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال، فالسبات يشبه الموت، إلا أنه لم تفارقه الروح، ويقال: سير سبت: أي: سهل لين.

قال الشاعر:

وَمَطْوِيَةِ الأقرابِ أمّا نهارُها ... فَسَبْتٌ وأمّا ليلُها فذَمِيلُ

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: تلبسكم ظلمته وتغشاكم؛ قاله الطبري، وقال ابن جبير والسدي: أي: سكنا لكم، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ فيه إضمار، أي: وقت معاش، أي: متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فـ﴿مَعَاشًا﴾ على هذا اسم زمان، ليكون الثاني هو الأول، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ أي: سبع

(١) ضعيف: الطبري (٣٠/ ٤) من طريق ابن حميد وهو متهم بالكذب.

(٢) رواه السيوطي (٦/ ٤٩٩) في الدر المنثور، وعزاه لابن المنذر.

سـموات مـحكمـات؛ أي: محكمـة الخلق وثيـقة البنيـان، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أي: وقادا وهي الشمس، وجعل هنا بمـعنى خلق؛ لأنها تعدت لمفعول واحـد والوهاج الذي له وهج؛ يقال: وَهَجَ يَهِجُ وَهْجًا وَوَهَجًا، ووهجانا، ويقال للجوهر إذا تلألأ: توهج، وقال ابن عباس: وهاجا منيرا متلألئا (١)، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ قال مجاهد وقـتادة: والمعصرات الرياح (٢)، وقاله ابن عبـاس كأنها تعصر الـسحاب (٣)، وعن ابن عباس أيضـا: أنها السحاب (٤)، وقال سفيـان والربيع وأبو العالية والضحاك: أي: الـسحائب التي تنعصر بالماء ولما تمطر بعد، كـالمرأة المعصر التي قد دنا حيـضها ولم تحض (٥)، قال أبو النجم:

تمشِي الـهُوَيْنَي مائلاً خِمارُها قد أَعْصَرت أوقددنا إعصارها

وقال آخر:

فكان مجني دون من كنت أتقي ثَلاثُ شُخُوصٍ كاعِبان ومُعْصِرُ

وقال آخر:

وذِي أشُرٍ كالأُقْحوانِ يزِينهُ ذهابُ الصَّبا والمُعْصِراتُ الرَّوائحُ

فالرياح تسـمى معصـرات؛ يقال: أعصـرت الريح تعصـر إعصارا: إذا أثارت العـجاج، وهي الإعصار، والسـحب أيضا تسمى المعـصرات لأنها تمطر، وقال قـتادة أيضا: المعصـرات السماء (٦). النحاس: هذه الأقـوال صحاح؛ يقـال للرياح التي تأتي بالمطر معـصرات، والرياح تلقح السـحاب، فـيكون المطر، والمطر ينزل مـن الريح على هذا، ويجـوز أن تكون الأقـوال واحـدة، ويكون المعنى: وأنزلنا من ذوات الرياح المعصرات ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ وأصح الأقوال أن المعصرات: السحاب، كذا المعروف أن الغيث منها، ولو كان بالمعصرات لكان الريح أولى، وفي الصحاح: والمعصرات: السحائب تعتصر بالمطر، وأعصر القوم ،أي: أمطروا؛ ومنه قـرأ بعضـهم: «وفيـه يُعْصَـرون» والمُعْـصِر: الجـارية أول ما أدركت وحاضت؛ يقال: قد أعصرت كأنها دخلت عصر شبابها أو بلغته؛ قال الراجز:

جارِيةٌ بَسفَوانَ دارها تمشِي الهُوَيْنَي ساقِطاً خمارُها

قد أَعصَرَتْ أو قددنا إعصارُها

والجمع: مـعاصـر، ويقال: هي التي قاربت الحـيض؛ لأن الإعصـار في الجارية كـالمراهقة في الغلام، سمعته من أبي الغوث الأعرابي، قال غـيره: والمعصر: السحابة التي حان لها أن تمطر؛ يقال أجَزَّ الزرع فـهو مجزٌّ: أي: صـار إلى أن يُجزَّ، وكذلك السحـاب إذا صار إلى أن يمطر فقد أعـصر، وقال المبـرد: يقال :سحاب مـعصر ، أي: ممسك للماء، ويعـتصر منه شيء بعد شيء،ومنه الـعصر بالتحـريك للملجأ الذي يلجـأ إليه، والعصـرة بالضم أيضا الملجـأ. وقد مضى هـذا المعنى في سورة

---

(١) منقطع : بين علي بن أبي طلحة الوالبي وابن عباس .الطبري (٣٠/ ٦) .

(٢) صحيح إليهما : الطبري (٣٠/ ٦، ٧) في تفسيره .

(٣، ٤) ضعيف : الطبري (٣٠/ ٦) عن طريق العوفيين .

(٥) انظر: الدر المنثور (٦/ ٤٩٩) .

(٦) انظر :الطبري (٣٠/ ٩) في تفسيره وسنده صحيح .

«يوسف» (١) والحمد لله، وقال أبو زبيد:

صَاديًا يستغيثُ غير مُغَاثٍ ولقدْ كَانَ عُصْرة المَنْجُود

ومنه المعصر للجارية التي قد قربت من البلوغ ،يقال لها: معصر؛ لأنها تحبس في البيت، فيكون البيت لها عصرا، وفي قراءة ابن عباس وعكرمة: «وأنزلنا بالمعصرات» (٢)،والذي في المصاحف ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال أبي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ أي: من السموات (٣)، ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صبابا متتابعا؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما(٤). يقال: ثججت دمه فأنا أثجه ثَجا، وقد ثَجَّ الدَّمُ يَثُج ثُجُوجًا، وكذلك الماء، فهو لازم ومتعد، والثجاج في الآية المنصب، وقال الزجاج: أي: الصباب، وهو متعد كأنه يثج نفسه ، أي: يصب،وقال عبيد بن الأبرص:

فثجَّ أعلاه ثم ارتجَّ أسفلُه وضَاقَ ذَرْعا بحمل المَاء مُنْصَاح

وفي حديث النبي ﷺ أنه سئل عن الحج المبرور فقال: « العج والثج» (٥) ،فالعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدماء وذبح الهدايا، وقال ابن زيد: ثجاجا كثيرا،والمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير وغير ذلك .

﴿وَنَبَاتًا﴾ من الأب،وهو ما تأكله الدواب من الحشيش، ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين.

﴿أَلْفَافًا﴾ أي :ملتفة بعضها ببعض لتشعب أغصانها،ولا واحد له كالأوزاع والأخياف، وقيل: واحد الألفاف لف بالكسر ولُف بالضم، ذكره الكسائي، قال:

جنة لُفٌّ وعيشٌ مُغْدَق ونَدامَى كلُّهمْ بيضٌ زُهُرْ

وعنه أيضا وأبي عبيدة: لفيف كشريف وأشراف، وقيل: هو جمع الجمع، حكاه الكسائي، يقال: جنة لفاء ونبت ألف والجمع لُفٌّ بضم اللام مثل حُمْر، ثم يجمع اللُّفُّ ألفافا، الزمخشري : ولو قيل :جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان وجيها، ويقال: شجرة لفاء وشجر لف وامرأة لفاء: أي: غليظة الساق مجتمعة اللحم، وقيل: التقدير: ونخرج به جنات ألفافا، فحذف لدلالة الكلام عليه، ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه أن الأشجار في البساتين تكون متقاربة، فالأغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي: وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين،لما وعد الله

---

(١) عند الآية (٤٩) .

(٢) قراءة غير متواترة .انظر: المحرر الوجيز(١٦/ ٢٠٩) لابن عطية.

(٣) انظر: الطبري (٣٠/ ٨) في تفسيره،وابن كثير (٨/ ٥٣٧، ٥٣٨) في تفسيره .

(٤) منقطع : بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس ،ورواه الطبري من طريق العوفيين (٣٠/ ٩، ١٠) .

(٥) صحيح : الترمذي (٨٢٧) في الحج ، وابن ماجه (٢٩٢٤) ، في المناسك كلاهما عن أبي بكر رضي الله عنه وصححه الألباني هناك .

من الجزاء والثواب، وسمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: للبعث ﴿فَتَأْتُونَ﴾ أي: إلى موضع العرض.

﴿ أَفْوَاجًا﴾ أي: أمما، كل أمة مع إمامهم، وقيل: زمرا وجماعات، الواحد: فوج، ونصب يوما بدلا من اليوم الأول، وروي من حديث معاذ بن جبل قلت: يا رسول الله ، أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ فقال النبي ﷺ: « يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم» ثم أرسل عينيه باكيا، ثم قال: « يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا، قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين، وبدل صورهم، فمنهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون: أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فهي مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعابا، يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتنا من الجيف، وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم؛ فأما الذين على صورة القردة : فالقتات من الناس - يعني النمام - وأما الذين على صورة الخنازير: فأهل السحت والحرام والمكس، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم: فأكلة الربا، والعمى: من يجور في الحكم، والصم البكم: الذين يعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم: فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان ، والذين هم أشد نتنا من الجيف : فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من أموالهم، والذين يلبسون الجلابيب: فأهل الكبر والفخر والخيلاء»(١).

قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: لنزول الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقيل: تقطعت، فكانت قطعا كالأبواب فانتصاب الأبواب على هذا التأويل بحذف الكاف، وقيل: التقدير فكانت ذات أبواب؛ لأنها تصير كلها أبوابا، وقيل: أبوابها طرقها، وقيل: تنحل وتتناثر، حتى تصير فيها أبواب، وقيل: إن لكل عبد بابين في السماء: بابا لعمله، وبابا لرزقه، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب، وفي حديث الإسراء: « ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا »(٢)، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: لا شيء كما أن السراب كذلك: يظنه الرائي ماء وليس بماء.

وقيل: ﴿سُيِّرَتِ﴾ نسفت من أصولها، وقيل: أزيلت عن مواضعها.

---

(١) موضوع : انظر: تنزيه الشريعة (٢/ ٣٨٩) لابن عراق .

(٢) متفق عليه : ضمن حديث المعراج الطويل ، ورواه البخاري (٣٢٠٧) في بدء الخلق ، ومسلم (١٦٤/ ٢٦٤) في الإيمان كلاهما عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة النَجَّاري ـ رضي الله عنهما .

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا
شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ مفعال من الرصد، والرصد: كل شيء كان أمامك، قال الحسن: إن على النار رصدا، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز حبس، وعن سفيان رضي الله عنه قال: عليها ثلاث قناطر، وقيل: ﴿مِرْصَادًا﴾ ذات أرصاد على النسب؛ أي: ترصد من يمر بها [(١)]، وقال مقاتل: محبسا، وقيل: طريقا وممرا، فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع جهنم.

وفي «الصحاح»: والمرصاد: الطريق، وذكر القشيري: أن المرصاد: المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو، نحو المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل، أي: هي معدة لهم؛ فالمرصاد بمعنى: المحل؛ فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم، وذكر الماوردي [(٢)] عن أبي سنان أنها بمعنى راصدة، تجازيهم بأفعالهم، وفي «الصحاح»: الراصد للشيء: الراقب له؛ تقول: رَصَدَهُ يَرْصُدُهُ رَصَدًا ورَصْدًا، والترصد: الترقب، والمرصد: موضع الرصد، الأصمعي: رصدته أرصده: ترقبته، وأرصدته له: أعددت له، والكسائي: مثله.

قلت: فجهنم معدة مترصدة، متفعل من الرصد وهو الترقب؛ أي: هي متطلعة لمن يأتي، والمرصاد مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمغيار، فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار.

﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ بدل من قوله: ﴿مِرْصَادًا﴾ والمآب: المرجع، أي: مرجعا يرجعون إليها؛ يقال: آب يؤوب أوبة: إذا رجع، وقال قتادة: مأوى ومنزلا، والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر، أو في دنياه بالظلم.

قوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي: ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حِقَب جاء حقب، والحقب بضمتين: الدهر والأحقاب: الدهور، والحِقبة بالكسر: السنة؛ والجمع حقب؛ قال متمم بن نويرة التميمي:

وكُنا كندماني جَذِيمة حِقْبةً ... من الدَّهرِ حتَى قيل لنَ يتصَدّعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكا ... لطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

والحُقْب بالضم والسكون: ثمانون سنة، وقيل: أكثر من ذلك وأقل، على ما يأتي، والجمع: أحقاب، والمعنى في الآية: لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها؛ فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه؛ إذ في الكلام ذكر الآخرة وهو كما يقال: أيام الآخرة؛ أي: أيام بعد أيام إلى غير نهاية، وإنما كان يدل على التوقيت لو قال: خمسة أحقاب أو عشرة أحقاب، ونحوه. وذكر الأحقاب لأن الحقب

---

(١) ضعيف: فيه ابن حميد كما رواه الطبري (٣٠/ ١١) في تفسيره، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٩).
(٢) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٨٥) المسمى بـ (النكت والعيون).

كان أبعد شيء عندهم، فتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونها، وهي كناية عن التأبيد، أي: يمكثون فيها أبدا، وقيل: ذكر الأحقاب دون الأيام؛ لأن الأحقاب أهول في القلوب، وأدل على الخلود، والمعنى متقارب؛ وهذا الخلود في حق المشركين، ويمكن حمل الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب، وقيل: الأحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب؛ ولهذا قال: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، و﴿لابِثِينَ﴾ اسم فاعل من لبث، ويقويه أن المصدر منه اللبث بالإسكان، كالشرب، وقرأ حمزة والكسائي «لبثين» بغير ألف [١] وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد، وهما لغتان؛ يقال: رجل لابث ولبث، مثل طمع وطامع، وفره وفاره، ويقال: هو لبث بمكان كذا: أي: قد صار اللبث شأنه، فشبه بما هو خلقة في الإنسان نحو: حذر وفرق؛ لأن باب فعل إنما هو لما يكون خلقة في الشيء في الأغلب، وليس كذلك اسم الفاعل من لابث.

والحُقبُ: ثمانون سنة في قول ابن عمر وابن محيصن وأبي هريرة، والسنة ثلاثمائة يوم وستون يوما، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا، قاله ابن عباس [٢]، وروي ابن عمر هذا مرفوعا إلى النبي ﷺ [٣] وقال أبو هريرة: والسنة ثلاثمائة يوم وستون يوما كل يوم مثل أيام الدنيا [٤]، وعن ابن عمر أيضا: الحقب: أربعون سنة [٥]. السدي: سبعون سنة، وقيل: إنه ألف شهر [٦]، رواه أبو أمامة مرفوعا [٧]. بشير بن كعب: ثلاثمائة سنة. الحسن: الأحقاب لا يدري أحد كم هي، ولكن ذكروا أنها مائة حقب، والحقب الواحد منها سبعون ألف سنة، اليوم منها كألف سنة مما تعدون [٨]، وعن أبي أمامة أيضا، عن النبي ﷺ: «إن الحُقُب الواحد ثلاثون ألف سنة» [٩] ذكره المهدوي، والأول الماوردي، وقال قطرب: هو الدهر الطويل غير المحدود.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقابا، الحقب بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة مما تعدون؛ فلا يتكلن أحدكم على أن يخرج من النار»، ذكره الثعلبي [١٠]، القُرظي: الأحقاب: ثلاثة وأربعون حقبا، كل حقب سبعون خريفا، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون

(١) قراءة سبعية متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٦).

(٢) هذا عند الطبري (٣٠/ ١٢) في تفسيره بسند ضعيف جدًا.

(٣) ضعيف جدًا: إن لم يكن موضوعًا: الهيثمي (١٠/ ٣٩٥) في مجمع الزوائد، وعزاه للبزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جدًا.

(٤) ضعيف: ذكره السيوطي (٦/ ٥٠٢) في الدر المنثور وعزاه للطبري وابن أبي حاتم، وكذا ذكره الطبري (٣٠/ ١٢) بإسناد فيه شريك وهو سيئ الحفظ، وفيه عاصم بن بهدلة وهو صدوق له أوهام.

(٥) سبق تضعيفه وقد رواه ابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٢٣٩) في تفسيره.

(٦) ذكره ابن كثير (٨/ ٢٣٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) ضعيف جدًا: الهيثمي (٧/ ٢٣٣) في المجمع وعزاه للطبراني بسند فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

(٨) فيه تدليس هشام بن حسَّان عن الحسن، ورواه الطبري (٣٠/ ١٣) في تفسيره.

(٩) ضعيف جدًا: انظر السابق.

(١٠) ضعيف جدًا: وقد سبق روايته عند البزار بإسناد فيه سليمان الخشاب وهو ضعيف.

يوما، كل يوم ألف سنة.

قلت: هذه أقوال متعارضة، والتحديد في الآية للخلود، يحتاج إلى توقيف يقطع العذر، وليس ذلك بثابت عن النبي ﷺ، وإنما المعنى - والله أعلم - ما ذكرناه أولا؛ أي: لابثين فيها أزمانا ودهورا[1]، كلما مضى زمن يعقبه زمن، ودهر يعقبه دهر، هكذا أبد الآبدين من غير انقطاع، وقال ابن كيسان: معنى ﴿لابثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لا غاية لها ولا انتهاء، فكأنه قال: أبدا، وقال ابن زيد ومقاتل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يعني أن العدد قد انقطع، والخلود قد حصل.

قلت: وهذا بعيد؛ لأنه خبر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] على ما تقدم، هذا في حق الكفار، فأما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص، والله أعلم، وقيل: المعنى ﴿لابثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي: في الأرض؛ إذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ لجهنم، وقيل: واحد الأحقاب حقب وحقبة؛ قال:

فإنْ تَنأ عَنْها حِقْبَةً لا تُلاقِهَا ... فأنَّك بما أحْدَثْته بِالمُجَرَّبِ

وقال الكميت:

مَرَّ لها من بعد حقبة حِقَبُ

قوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ أي: في الأحقاب ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ البرد: النوم في قول أبي عبيدة وغيره؛ قال الشاعر:

ولو شِئْتُ حَرَّمتُ النساء سِوَاكُمُ ... وإن شِئت لم أَطْعَمْ نُقاخا ولا بَرْدًا

وقاله مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد ومعاذ النحوي؛ وأنشدوا قول الكندي:

بَرَدت مَراشِفُها عليَّ فصدني ... عنها وعن تقبيلها الْبَرْد

يعني النوم، والعرب تقول: منع البَرْدُ البَرْدَ، يعني: أذهب البرد النوم.

قلت: وقد جاء الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل: هل في الجنة نوم؟ فقال: «لا؛ النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها»[2] فكذلك النار؛ وقد قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦] وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب[3]، وعنه أيضا: البرد: النوم: والشراب الماء[4]، وقال الزجاج: أي: لا يذوقون فيها برد ريح، ولا ظل، ولا نوم، فجعل البرد برد كل شيء له راحة، وهذا برد ينفعهم، فأما الزمهرير فهو برد يتأذون به، فلا ينفعهم، فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به، وقال الحسن وعطاء وابن زيد: بردا: أي: روحا وراحة؛ قال الشاعر:

فلا الظِّلَّ من برد الضُّحى تستطيعُه ... ولا الفيءَ أوقات العَشيِّ تذوقُ

قوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ جملة في موضع الحال من «الطاغين»، أو نعت للأحقاب؛ فالأحقاب ظرف زمان، والعامل فيه ﴿لابِثِينَ﴾ أو «لبثين» على تعدية فعل، ﴿إِلَّا حَمِيمًا

(١) ضعيف إلى أبي معاذ الخرساني: الطبري (٣٠/ ١٣) في تفسيره.

(٢) صحيح: صححه الألباني (١٠٨٧) في الصحيحة وقد سبق عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما.

(٣، ٤) ضعيف: ابن الجوزي (٦/ ١١٤) في زاد المسير من طريق أبي صالح، عن ابن عباس والسند واهٍ جدًا.

وَغَسَّاقًا﴾ استثناء منقطع في قول من جعل البرد النوم، ومن جعله من البرودة كان بدلا منه، والحميم: الماء الحار؛ قاله أبو عبيدة، وقال ابن زيد: الحميم: دمـوع أعينهم، تجمع في حياض ثم يسقونه، قال النحاس: أصل الحـميم: الماء الحار، ومنـه اشتق الحمـام، ومنه الحمى، ومنه ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣)﴾ [الواقعة]: إنما يراد به النهاية في الحـر، والغساق: صديد أهل النار وقيحهم، وقـيـل: الزمهرير، وقرأ حمـزة والكسائي بتـشديد السين، وقد مـضى في «ص» القول فـيه(١)، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أي: موافـقا لأعمالهم، عـن ابن عباس (٢) ومجـاهد وغيرهما؛ فـالوفاق بمعنى الموافقـة كالقتـال بمعنى المقاتلة، و﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر، أي :جازيناهم جزاء وافق أعمالهم؛ قاله الفراء والأخفش، وقال الفراء أيضا: هو جمع الوفق، والوفق واللفق واحد، وقال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عـذاب أعظم من النار، وقـال الحسن وعكرمـة: كانت أعـمالهم سيـئة، فـأتاهم الله بما يسوؤهم (٣)، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يخافون ﴿حِسَابًا﴾ أي محاسبة على أعمالهم، وقيل: معناه لا يرجون ثواب حـساب. الزجاج: أي: إنهم كانوا لا يؤمنون بالبـعث فيرجون حـسابهم، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ أي بما جاءت به الأنبـياء، وقيل: بما أنزلنا من الكتب، وقراءة الـعامة ﴿كِذَّابًا﴾ بتشديد الذال، وكسـر الكاف، على كذب، أي كـذبوا تكذيبا كبـيرا، قال الفـراء: هي لغة يمانيـة فصيـحة؛ يقولون: كذبت «به» كـذابا، وخرقت القميص خراقـا؛ وكل فعل في وزن :« فَعَّل » فمصـدره فعال مشدد في لغتهم؛ وأنشد بعض الكلابيين:

لقد طالَ ما ثَبَّطْتني عن صاحبتي ... وعن حِوجٍ قضَّاؤها من شفائيا

وقرأ علي رضي الله عنه « كِذَابا » بالتـخفيف (٤) وهو مصدر أيضا، وقـال أبو علي: التخفيف والتشديد جميعا: مصدر المكاذبة، كقول الأعشى:

فصـدقتـها وكَذَبتُـها ... والمـرءُ ينفعـهُ كِذَابـه

أبو الفتح: جاءا جميعا مصدر :كذب وكذب جمـيعا، الزمخشري: « كِذَابا » بالتخفيف مصدر كَذَب؛ بدليل قوله:

فصـدقتـها وكَذَبتُـها ... والمـرءُ ينفعـهُ كِذَابـه

وهو مثل قوله: ﴿أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] يعنـي: وكذبـوا بآياتنا فكذبوا كذابا، أو تنصبه بـ ﴿ وَكَذَّبُوا ﴾، لأنه يتـضمن معـنى كذبوا؛ لأن كل مكذب بالحق كـاذب وإن جعلتـه بمعنى المكاذبة فمـعناه: وكذبوا بآياتنا فكانوا مكاذبة، أو: وكـذبوا بها مكاذبين؛ لأنهم إذا كانوا عـند المسلمين كاذبين، وكان المسلمون عندهم كـاذبين، فبينهم مكاذبة، وقرأ ابن عمر: « كُذَّابا » بضـم الكاف والتشديد، جمع كاذب؛ قـاله أبو حاتم، ونصـبه على الحـال الزمخشـري ،وقد يكون الكُذَّاب: بمعنى الواحـد البليغ في الكذب، يقال: رجل كُذَّاب، كقولك حسان وبخـال ،فيُجعل صفة لمصدر﴿كَذَّبُوا﴾ أي: تكذيبا كذابا مفـرطا كذبه، وفي« الصحاح»: وقـوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ وهو أحد مصـادر المشدد؛ لأن

(١) عند الآية (٥٧) .
(٢ ،٣) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس كما في تفسير الطبري (٣٠/ ١٦) .
(٤) قراءة سبعية متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٦) .

مصدره قد يجيء على «تفعيل» مثل التكليم وعلى «فعال» مثل: كذاب وعلى «تفعلة» مثل توصية، وعلى «مفعل» مثل ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾[سبأ: ١٩] ، ﴿وكل شيء أحصيناه كتابا﴾ ﴿كل﴾ نصب بإضمار فعل يدل عليه ﴿أحصيناه﴾ أي: وأحصينا كل شيء أحصيناه، وقرأ أبو السمال: «وكلُّ شيءٍ» بالرفع على الابتداء.

﴿كتابا﴾ نصب على المصدر؛ لأن معنى أحصينا: كتبنا، أي كتبناه كتابا، ثم قيل: أراد به العلم، فإن ما كتب كان أبعد من النسيان، وقيل: أي: كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة، وقيل: أراد ما كتب على العباد من أعمالهم، فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر الله تعالى إياهم بالكتابة؛ دليله قوله تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين ﴿١٠﴾ كراما كاتبين﴾ [الانفطار]، ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾ قال أبو برزة: سألت النبي ﷺ عن أشد آية في القرآن؟ فقال: قوله تعالى: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾ (١) أي: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾ [النساء: ٥٦] و﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين مفازا﴾ ذكر جزاء من اتقى مخالفة أمر الله ﴿مفازا﴾ موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه أهل النار، ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها: مفازة، تفاؤلا بالخلاص منها، ﴿حدائق وأعنابا﴾ هذا تفسير الفوز، وقيل: «إن للمتقين مفازا» إن للمتقين حدائق؛ جمع حديقة، وهي البستان المحوط عليه؛ يقال أحدق به: أي: أحاط، والأعناب: جمع عنب، أي: كروم أعناب، فحذف، ﴿وكواعب أترابا﴾ كواعب: جمع كاعب وهي الناهد؛ يقال: كَعَبت الجارية تكعَب كُعوبا، وكعَّبت تُكعِّب تكعيبا، ونَهَدت تَنْهَدُ نُهُودا، وقال الضحاك: الكواعب: العذارى؛ ومنه قول قيس بن عاصم:

وكَمْ مِن حِصانٍ قد حَوَينَا كريمة ... ومِن كاعبٍ لَمْ تَدر ما البُؤسُ مُعْصِر

والأتراب: الأقران في السن، وقد مضى في سورة «الواقعة» (٢) الواحد: ترب، ﴿وكأسا دهاقا﴾ قال الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس: مترعة مملوءة (٣)؛ يقال: أدهقت الكأس: أي: ملأتها، وكأس دهاق، أي: ممتلئة؛ قال:

ألا فاسقني صِرْفًا سقاني السَّاقي ... مِن مَائِها بِكأسِك الدِّهاقِ

وقال خداش بن زهير:

أتانَا عَامِرٌ يبغِي قِرانا ... فأتْرعنا له كأسًا دِهَاقا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس (٤) أيضا: متتابعة، يتبع بعضها بعضا؛ ومنه

(١) ضعيف جدًا: كذا قال ابن كثير (٨/ ٢٤١) وأعله بـ (جسر بن فرقد) .

(٢) عند الآية (٣٧) .

(٣) ذكرها الطبري جميعًا في تفسيره (٣٠/ ٢٠) وهي أقوال صحاح ، وقد رويت عن ابن عباس بأسانيد فيها ضعف، لكنها تتعاضد لتحسن ـ إن شاء الله .

(٤) حسن : الطبري (٣٠/ ٢١) في تفسيره، وباقي الأسانيد صحاح أيضًا .

ادَّهَقت الحجارة أدِّهاقا، وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض؛ فالمتتابع كالمتداخل، وعن عكرمة أيضا وزيد بن أسلم: صافية؛ قال الشاعر:

لأنتِ إلى الفؤادِ أحبُّ قرباً مِن الصادي إلى كأسٍ دِهاق

وهو جمع دهق، وهو خشبتان يعصر بهما ،والمراد بالكأس الخمر، فالتقدير: خمرا ذات دهاق، أي: عصرت وصفيت؛ قاله القشيري، وفي« الصحاح»: وأدهقت الماء: أي: أفرغته إفراغا شديدا. قال أبو عمرو: والدهق - بالتحريك: ضرب من العذاب، وهو بالفارسية دأشكنجه. المبرد: والمدهوق: المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه. ابن الأعرابي: دهقت الشيء كسرته وقطعته، وكذلك دهدقته: وأنشد لحجر بن خالد:

نُدَهْدِق بَضْعَ اللحم لِلباعِ والندَى وبعضهُمُ تغلي بذمٍّ مَناقِعُهْ

ودهمقته بزيادة الميم: مثله، وقال الأصمعي: الدهمقة: لين الطعام وطيبه ورقته، وكذلك كل شيء لين؛ ومنه حديث عمر: لو شئت أن يدهمق لي لفعلت، ولكن الله عاب قوما فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

قوله تعالى﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿لَغْواً وَلا كِذَّاباً﴾ اللغو: الباطل، وهو ما يلغى من الكلام ويطرح؛ ومنه الحديث: « إذا قلت لصاحبك: أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت » (١) وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير عقولهم، ولم يتكلموا بلغو؛ بخلاف أهل الدنيا، « ولا كذابا » تقدم، أي: لا يكذب بعضهم بعضا، ولا يسمعون كذبا، وقرأ الكسائي « كِذابا» بالتخفيف من كذبت كذابا أي: لا يتكاذبون في الجنة، وقيل: هما مصدران للتكذيب، وإنما خففها ها هنا لأنها ليست مقيدة بفعل يصير مصدرا له، وشدد قوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ﴿٢٨﴾﴾، لأن «كذبوا» يقيد المصدر بالكذاب، ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ نصب على المصدر، لأن المعنى جزاهم بما تقدم ذكره، جزاءً، وكذلك ﴿عَطَاءً﴾ لأن معنى أعطاهم وجزاهم واحد، أي: أعطاهم عطاء، ﴿حِسَاباً﴾ أي: كثيرا، قاله قتادة؛ يقال: أحسبت فلانا: أي: كثرت له العطاء حتى قال: حسبي، قال:

ونُقْفِي ولِيدَ الحَيِّ إن كَان جَائعًا ونُحْسِبهُ إن كَان لَيْسَ بِجَائعِ

وقال القتبي: ونرى أصل هذا :أن يعطيه حتى يقول حسبي، وقال الزجاج:﴿حِسَاباً﴾ أي: ما يكفيهم،وقاله الأخفش، يقال: أحسبني كذا: أي: كفاني، وقال الكلبي: حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا. مجاهد (٢):حسابا لما عملوا، فالحساب بمعنى العد، أي: بقدر ما وجب له في وعد الرب، فإنه وعد للحسنة عشرا، ووعد لقوم بسبعمائة ضعف، وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدارا؛ كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]،وقرأ أبو هاشم :« عطَّاء حَسَّاباً » بفتح الحاء، وتشديد السين، على وزن فَعَّال، أي:كفافا؛ قال الأصمعي: تقول العرب: حسَّبت الرجل بالتشديد: إذا أكرمته؛ وأنشد قول الشاعر:

---

(١) متفق عليه : البخاري (٩٣٤) في الجمعة ، ومسلم (٨٥١/ ١١، ١٢) في الجمعة ، كلاهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

(٢) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٣٠/ ٢٢) في تفسيره .

إذا أتاهُ ضيفهُ يحسِّبُهُ

وقرأ ابن عباس: «حسانا» بالنون.

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَّا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا ۝٤٠ ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ قرأ ابن مسعود ونافع وأبو عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب، والمفضل عن عاصم: «رَبُّ» بالرفع [١] على الاستئناف، «الرحمنُ» خبره، أو بمعنى: هو رب السموات، ويكون «الرحمنُ» مبتدأ ثانيا، وقرأ ابن عامر ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض، نعتا لقوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: جزاء من ربك رب السموات الرحمن، وقرأ ابن عباس وعاصم وحمزة والكسائي ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ خفضا على النعت، «الرَّحْمَنُ» رفعا على الابتداء، أي: هو الرحمن، واختاره أبو عبيد وقال: هذا أعدلها؛ خفض ﴿رَبِّ﴾ لقربه من قوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فيكون نعتا له، ورفع «الرَّحْمَنُ» لبعده منه، على الاستئناف، وخبره ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه، وقال الكسائي: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ بالشفاعة إلا بإذنه، وقيل: الخطاب: الكلام؛ أي: لا يملكون أن يخاطبوا الرب سبحانه إلا بإذنه؛ دليله: ﴿لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

وقيل: أراد الكفار أي: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، فأما المؤمنون فيشفعون.

قلت: بعد أن يؤذن لهم؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ ﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف؛ أي: يوم لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح، واختلف في الروح على أقوال ثمانية:

الأول: أنه ملك من الملائكة، قال ابن عباس [٢]: ما خلق الله مخلوقا بعد العرش أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا، فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم، ونحو منه عن ابن مسعود [٣].

قال: الروح ملك أعظم من السموات السبع، ومن الأرضين السبع، ومن الجبال، وهو حيال السماء الرابعة، يسبح الله كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة؛ يخلق الله من كل تسبيحة ملكا، فيجيء يوم القيامة وحده صفا. وسائر الملائكة صفا.

---

(١) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٦).

(٢) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس: الطبري (٣٠/ ٢٤) في تفسيره.

(٣) ضعيف جدًا: الطبري (٣٠/ ٢٢) في تفسيره، وروّاد بن الجراح ضعيف.

الثاني: أنه جبريل عليه السلام، قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير [١]، وعن ابن عباس: إن عن يمين العرش نهرا من نور، مثل السموات السبع، والأرضين السبع، والبحار السبع، يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل، فيزداد نورا على نوره، وجمالا على جماله، وعظما على عظمه، ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه سبعين ألف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفا البيت المعمور، والكعبة سبعون ألفا لا يعودون إليهما إلى يوم القيامة [٢]، وقال وهب: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه؛ يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك، فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسة رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا أنت؛ وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ يعني قول: «لا إله إلا أنت» [٣].

الثالث: روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: « الروح في هذه الآية جند من جنود الله تعالى، ليسوا ملائكة، لهم رؤوس وأيد وأرجل، يأكلون الطعام» [٤]، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ فإن هؤلاء جند، وهؤلاء جند، وهذا قول أبي صالح ومجاهد [٥]، وعلى هذا هم خلق على صورة بني آدم، كالناس وليسوا بناس. الرابع: أنهم أشراف الملائكة؛ قاله مقاتل بن حيان[٦]، الخامس: أنهم حفظة على الملائكة؛ قاله ابن أبي نجيح [٧]، السادس: أنهم بنو آدم، قاله الحسن وقتادة [٨]، فالمعنى ذوو الروح، وقال العوفي والقرظي: هذا مما كان يكتمه ابن عباس؛ قال: الروح: خلق من خلق الله على صور بني آدم، وما نزل ملك من السماء إلا ومعه واحد من الروح[٩]، السابع: أرواح بني آدم تقوم صفا، فتقوم الملائكة صفا، وذلك بين النفختين، قبل أن ترد إلى الأجساد؛ قاله عطية، الثامن: أنه القرآن؛ قاله زيد بن أسلم [١٠].

وقرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ،و ﴿صَفًّا﴾: مصدر ، أي: يقومون صفوفا، والمصدر ينبيء عن الواحد والجمع، كالعدل، والصوم، ويقال ليوم العيد: يوم الصف، وقال في موضع آخر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] هذا يدل على الصفوف، وهذا حين العرض والحساب، قال معناه القتبي وغيره، وقيل: يقوم الروح صفا، والملائكة صفا، فهم صفان، وقيل:

---

(١) حسن : إلى الضحاك والشعبي .

(٢) هذا موضوع : وإن لم يكن موضوعًا فمتى يكون الحديث موضوعًا ؟!

(٣) الخبر من إسرائيليات وهب ولا يصح .

(٤) ضعيف جدًا : أبو الشيخ (٤١٢) وفي العظمة وفي إسناده مجاهيل .

(٥) انظر: الطبري (٣٠/ ٢٤) وهي متون غريبة وأقوال لا تصح .

(٦) موضوع : ومقاتل حاله من الضعف معلومة .

(٧) هذا أضعف من سابقه .

(٨) صحيح إلى الحسن وهو غريب الإسناد : الطبري (٣٠/ ٢٥) في تفيسره .

(٩) ضعيف : وطريق العوفيين إلى ابن عباس ضعيف .

(١٠) صحيح إليه : كذا قاله ابن زيد عن أبيه كما عند الطبري (٣٠/ ٢٥) في تفسيره .
قلت : ورجح ابن كثير أنهم بنو آدم كما في تفسيره (٨/ ٢٤٣) .

يقوم الكل صفا واحدا، ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: لا يشفعون ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ يعني حقا؛ قاله الضحاك ومجاهد [١]، وقال أبو صالح: لا إله إلا الله [٢]، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يشفعون لمن قال: لا إله إلا الله [٣]، وأصل الصواب، السداد من القول والفعل، وهو من أصاب يصيب إصابة؛ كالجواب من أجاب يجيب إجابة، وقيل: ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾ يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا، لا يتكلمون هيبة وإجلالا ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا، وأنهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه، وقال الحسن: إن الروح يقول يوم القيامة: لا يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة، ولا النار إلا بالعمل [٤]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: الكائن الواقع ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي: مرجعا بالعمل الصالح؛ كأنه إذا عمل خيرا رده إلى الله عز وجل، وإذا عمل شرا عده منه، وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك» [٥]، وقال قتادة ﴿مَآبًا﴾: سبيلا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يخاطب كفار قريش ومشركي العرب؛ لأنهم قالوا: لا نبعث، والعذاب عذاب الآخرة، وكل ما هو آت فهو قريب، وقد قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] قال معناه الكلبي وغيره، وقال قتادة: عقوبة الدنيا؛ لأنها أقرب العذابين [٦]، قال مقاتل: هي قتل قريش ببدر، والأظهر أنه عذاب الآخرة، وهو الموت والقيامة؛ لأن من مات فقد قامت قيامته، فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة، وإن كان من أهل النار رأى الخزي والهوان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ بين وقت ذلك العذاب؛ أي: أنذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم، وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، أي: يراه، وقيل: ينظر إلى ما قدمت فحذف إلى، والمرء ها هنا المؤمن في قول الحسن؛ أي: يجد لنفسه عملا، فأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا، فيتمنى أن يكون ترابا، ولما قال: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ علم أنه أراد بالمرء المؤمن، وقيل: المرء ها هنا: أبي خلف وعقبة بن أبي معيط، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾: أبو جهل، وقيل: هو عام في كل أحد وإنسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب، وقال مقاتل: نزل قوله: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾: في أخيه الأسود بن عبد الأسد [٧]، وقال الثعلبي: سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: الكافر: ها هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب، وافتخر بأنه خلق من نار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة، والرحمة، ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب، تمنى أنه يكون بمكان آدم، فيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا» قال: ورأيته في بعض التفاسير للقشيري أبي نصر، وقيل: أي: يقول إبليس: يا

---

(١) هذا مما يتحمله المعنى والصواب ما بعده. (٢) رواه الطبري (٣٠/ ٢٦) في تفسيره.

(٣) منقطع: بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(٤) هذا غريب ولا سند للحسن فيه من الوحي فهو ضعيف.

(٥) صحيح: سبق عند مسلم ضمن حديث عياض بن حمار في الجنة.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٤٣).

(٧) انظر: الماوردي (٦/ ١٩١) في تفسيره النكت والعيون.

ليتني خلقت من التراب ولم أقل: أنا خير من آدم، وعن ابن عمر: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يوضع القصاص بين البهائم، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء بنطحتها، فإذا فرغ من القصاص بينها قيل لها: كوني ترابا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ ونحوه عن أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، وقد ذكرناه في كتاب التذكرة، بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، مجودا والحمد لله. ذكر أبو جعفر النحاس: حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال حدثنا سلمة بن شبيب، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، قال أخبرني جعفر بن برقان الجزري، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان، ثم يقال للبهائم والطير كوني ترابا، فعند ذلك ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [(١)]، وقال قوم: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾: أي: لم أبعث، كما قال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥]، وقال أبو الزناد : إذا قضي بين الناس، وأمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن: عودوا ترابا، فيعودون ترابا، فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [(٢)]، وقال ليث بن أبي سليم: مؤمنو الجن يعودون ترابا [(٣)]، وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد : مؤمنوا الجنة حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها، وهذا أصح [(٤)]، وقد مضى في سورة « الرحمن» بيان هذا [(٥)] وأنهم مكلفون: يثابون ويعاقبون، فهم كبني آدم، والله أعلم بالصواب .

---

(١) حسن : الطبري (٣٠/ ٢٨) في تفسيره .

(٢) مرسل : أبو الزناد تابعى جليل ، والإسناد إليه حسن ، كما عند الطبري (٣٠/ ٢٨) في تفسيره .

(٣) عزاه السيوطي (٦/ ٥٠٧) في الدر المنثور لابن أبي الدنيا ، وليث هذا ضعيف وأثره معضل ولا يحتج به لكونه ضعيفاً .

(٤) هذه مراسيل كلها لا يعلم عنها شيء ؛ وربض الجنة : يعني ما حولها . اللسان. « ربض».

(٥) عند الآية (٣١).